دور الأسرة في تعزيز الأمن الفكري



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر



الشيخ لم يراجع التفريغ



دورُ الأسرة في
تعزيز الأمن الفكري

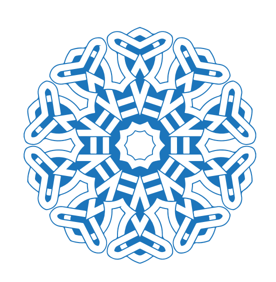
00966558883286
YouTube/alshuwayer9
alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:
tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

(٣٩)

دور الأسرة في
تعزيز الأمن الفكري



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبد الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أمَّا بعدُ:

-أيُّها الإخوة- الأكارم إنَّ للأسرة من الأبوين جميعًا أو من ينوب منابهما أثرٌ عظيمٌ في توجيه أبنائهم وحفظهم ممَّا يضر فكرهم وأبدانهم وأموالهم، وقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ الأبناء حتَّى في أموالهم، ونهى الله عَزَّوَجَلَّ أن يؤتى الأبناء أموالهم ليفسدوها إذا كانوا قاصرين غير مدركين، وكذلك أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالإحسان إليهم وتربيتهم.

-أيُّها الإخوة- إنَّ من أعظم نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على العبد أن ينعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد بذريةٍ صالحة تقر عينه بهم إذا نظر إليهم سَعُد، وإذا أمرهم أطاعوه، يسمع من أخبارهم ما يسره، ولا يأتيه من خبرهم إلَّا ما يكون سبب فخرٍ له، ولذلك فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ امتنَّ على بعض العباد بهؤلاء الأبناء كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر:١٣] **أي**: يشهد أبناءه أمام ناظريه صحيحةٌ أبدانهم، سليمةٌ أخلاقهم، لا معايب فيهم ولا منقصة، ولذلك إذا جاء المرء أمرٌ يسوءه في أبنائه في خلقهم، أو دينهم، أو كان يسوءه في أبدانهم فإنَّ ذلك من أعظم ما يكسب المرء الهم والحَزن، ويكون سببًا في ضيق نفسه، وفي سبب مكالبة الهموم عليه، ولذلك فإنَّ صلاح الأبناء نعمةٌ عظيمة لا توازيها نعمة، وقد **قال الإمام الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «لا والله لا شيء أقر لعين العبد المسلم من أن يرى له ولدًا صالحًا أو ولدٍ مطيعًا لله عَزَّوَجَلَّ».

هذه هي قرة العين على الحقيقة أن يرى المرء صلاح أبنائه، وأن يسعد بهم، وأن يأنس بقربهم، وأن يسمع ويرى من أفعالهم ما تقر به عينه، كما **قال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

نِعَمُ الْإِلَهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ   وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الْأَوْلَادِ

وإنَّ هذه النجابة وهذا الصلاح وهذا السلوك المستقيم الذي يكون من الأبناء لا يكون هكذا خبط عشـــواء بل لابدَّ له من مقدمات فإنَّما يكون المرء متعلمًا بتعلمه، «**إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ**» فالمرء يتعلم في صغره أمورًا تكون سببًا لاكتسابه هذه الأشياء في كبره، والمرء إنَّما يتعلم بوالديه كما **قال الأوَّل**:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ فِينَا   عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبُوهُ

إن زرع الأب في أبنائه خيرًا حصد خيرًا، وإن زرع الأب أو الأم في أبنائهم سوءًا وشرًا فإنَّهما سيحصدان غدًا ذلك السوء والشر، فإنَّ الأبناء إنَّما هم كالأرض ما وُضِع فيها فإنَّه ينبت، فإن روعيت بالسقي والرعاية كان ما تنتجه حسنًا قويًا هنيًا وإلَّا فلا، ولذلك فإنَّ صلاح الأبناء وحسن تنشأتهم أثرٌ عظيمٌ فيما يكونون عليه بعد ذلك، والتوفيق بيد الله.

ولمَّا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قوله حينما **قال**: ﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ **[التحريم:٦]** ذكر بعض أهل العلم كعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أنَّ وقاية الأهل من النار بتربيتهم وتنشأتهم» فحينما يقوم الأب والأم بتنشئة ابنهم وابنتهم على الخير والهدى فإنَّهم يحصدون ذلك، وإلَّا فلا، ولكن هذه المقدمات هي التربية والتنشئة التي يأتي بها الوالدان، ولذا فإنَّ هذه المقدمات ذكر أهل العلم أنَّ بعضها أمرٌ باطني، وبعضها أمرٌ ظاهريٌ يراه الناس، فيُعنى المرء بالجمع بين الأمرين بالباطن والظاهر لكي تحصل له النتيجة التي

يرغبها ويقضيها الله عَزَّوَجَلَّ له.

❁ **فأمَّا الأمور الباطنية فمن أهمها:**

❁ **أن يسعى الأب والأم كذلك في صلاح نفسيهما،** فإنَّ صلاح الآباء مؤثرٌ في صلاح الأبناء، نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قضى بعدله ألَّا يتحمل أحدٌ جريرة أحد ولا ذنبه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وكذلك أيضا قضى سبحانه بعدله أنَّ الشخص لا ينتفع إلَّا بعمله هو دون عمل غيره، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم].

وقد بيَّن النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الأصل انتفاع المرء بصلاحه هو ولا ينتفع غيره به، فقد ثبت عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلِينِي مَا شِئْتِ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، فالأصل أنَّ المرء لا ينتفع بعمل غيره، لكن من رحمة الله وفضله ومنته وإحسانه أنَّه لم يغلق انتفاع الأبناء بصلاح آبائهم، بل إنَّ من مزيد فضل سبحانه وإنعامه أنَّه جعل لصلاح الآباء أثرًا في أبنائهم لأجل أن يجتهد الآباء في صلاح أنفسهم فيكون سببًا لبذلهم المزيد من الطاعة، إذ من أحب الأشياء للمرء أبناؤه وصلاحهم في دينهم ودنياهم، ولذلك كلَّما تقرَّب الوالدان بالطاعة لله واجتهد في العبادة والإنابة فإنَّ أبنائهم ينتفعون به على سبيل التبع، فليس انتفاع الأبناء

بتخزين آبائهم المال فقط أو العقار وإنَّما كذلك بالصلاح، كما **قال الله** عَزَّوَجَلَّ في قصة الخضر: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]، فالله يحفظ الأبناء في دنياهم بسبب صلاح أباءهم، وصلاح الآباء مؤثرٌ في صلاح أبنائهم وحفظ الله عَزَّوَجَلَّ لهم، ولذلك **يقول الله** عَزَّوَجَلَّ عن أنبيائه الذين اصطفاهم: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٣٤] فدلَّ على أنَّ الذرية تشابه أصولها في كثيرٍ من الأحايين، ويؤثر صلاح أصولها فيها، وقد ثبت عن جماعة من السلف – رضوان الله عليهم – أنَّهم كانوا يجتهدون في الطاعات لغرض صلاح أبنائهم، فجاء عن **سعيد ابن جبير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّه كان **يقول**: «إنِّي لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا»، قال الراوي عن سعيد: «وذلك رجاء أن يحفظ»، وجاء عن **ابن المنكدر** أنَّه **قال**: «إنَّ الله يحفظ العبد المؤمن في ولده، وولد ولده، ويحفظه في دويرته، ودويرات حوله، فما يزالون في حفظٍ أو في عافيةٍ ما كان بين ظهرانهم»، وجاء عن **وهب ابن منبه** أنَّه **قال**: «إنَّ الله يحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس».

وهذه الآثار عن السلف أصلها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ **الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **يقول**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وأعظم الحياة الطيبة أن يرى المرء ما تقر عينه به من أبنائه من صلاحهم وحفظ الله عَزَّوَجَلَّ لهم. وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ مثلاً في كتابه بأثر صلاح الآباء في أبنائهم **فيقول الله** جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٦٦] فبيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في

هذه الآية مثلاً أنَّ من خاف على ذريته الضعفاء الصغار الضيعة، وعلى بناته الأيامى الصغيرات الفوات والتأيُّم، وغير ذلك من عوارض الأمور التي تذهب مصالحهم كما تتلف النار الزرع فلا تبقي من الزرع شيئًا، من خاف هذه الأمور فليتق الله عَزَّوَجَلَّ وليعمل العمل الصالح، ومن أعظم العمل الصالح النفقة، كما أعقب **الله** عَزَّوَجَلَّ هذه الآية **بقوله**: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [**البقرة:٢٦٧**]، فالإنفاق والصدقة والإحسان إلى الناس وعدم الظلم والبغي هو سبب لحفظ الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، بل أعظم من ذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنَّ صلاح الآباء ونفقتهم وصدقتهم وإحسانهم للناس سببٌ لصلاح الأبناء وحفظهم بعد وفاتهم، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ [**النساء:٩**]، **أي**: من خاف على ذريته الضيعة وعدم الرياء وعدم الرعاية، وخاف عليهم الهلاك وعدم الحفظ فليتق الله عَزَّوَجَلَّ في يتامى المسلمين فلا يأكل مالًا لأحد، ولا يؤكل أبناءه مالًا حرامًا ولا يتعدَّى على عرض أحد، ولذلك الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ الله عَزَّوَجَلَّ حفظه في أبنائه كما **قال** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عبَّاس: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ**».

❁ **من الأسباب الباطنة بعد صلاح الآباء: دعاء الآباء لأبنائهم**، فما أعظم دعاء الآباء في صلاح الأبناء، كم من أمرٍ خفي في ظلمة ليلٍ دعا به الأب أو الأم لأبنائهم فكان سببًا في صلاح أبنائهم، كما **قال الله** عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم نبي الله وخليله: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾ [**إبراهيم:٤٠**]، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدعو الله

عَزَّوَجَلَّ لأبنائه، ولذلك جعل الله عَزَّوَجَلَّ النبوة في أبنائه، **وأم مريم** امرأة عمران لمَّا ولدت ابنتها **قالت**: ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [**آل عمران:٣٦**]، **قال الله**: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا**﴾ [**آل عمران:٣٧**]، فهذا يدلُّنا على أنَّ الدعاء عظيم.

وقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ من صفات عباده الصالحين عباد الرحمن التي ذكرها في آخر سورة الفرقان أنَّهم يدعون بصلاح أبنائهم، **فقال** جَلَّوَعَلَا: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [**الفرقان:٧٤**]، فالدعاء بأن يجعل الله عَزَّوَجَلَّ الأبناء قرة عين نعمةٌ عظيمة جليلة لا يعرفها إلَّا من حُرِمها، وهذا الدعاء من أعظم الدعاء حتَّى **قال بعض السلف**: «ما تركته في صلاة» أن يجعل الله عَزَّوَجَلَّ الأبناء قرة عين للآباء، كم من أبٍ يخطط ويرجو أملًا معينًا لكن إذا دعا الله أن يجعلهم قرة عين له فإنَّه يَكِل الخيرة له سبحانه، فالله عَزَّوَجَلَّ يختار ما تتحقَّق له قرة العين في الدنيا والآخرة، فهذا دعاءٌ عظيم يدعو به العبد الله عَزَّوَجَلَّ بصلاح أبنائه، وبحفظهم من السوء والشر، والمرء إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ دعاءه إمَّا أن يستجاب بعينه وإمَّا أن يرتفع إلى السماء فيختلج مع القضاء الذي نزَّله الله عَزَّوَجَلَّ من سوءٍ على أبنائه فيمنع الدعاء القدر السيء، وإن لم يكن المرء عالمًا بهذا القدر كما جاء في الحديث، ولذلك **يقول النبيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاء**» **أي**: مطلق الدعاء سواءً بعين الشيء أو مطلق الدعاء.

والحالة الثالثة: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ هذا الدعاء ويجعله ذخرًا للداعي يوم القيامة، فالمرء يجب عليه ألَّا يمل، وألَّا يكل من الدعاء لأبنائه بأن يجعلهم الله عَزَّوَجَلَّ قرة عينٍ له،

وأن يحفظهم، وأن يصلح دينهم ودنياهم، وأن يجعلهم عبادًا له صالحين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا الدعاء من أعظم الأمور الباطنية التي تكون سببًا لصلاح الأبناء وحفظهم في جميع أمورهم، ولكن لا يعجل الأب ولا الأم ويقول: دعوت فلم يستجب لي.

❁ **ومن الأمور الباطنية التي يفعلها الأبوان أن يعنوا بطيب المطعم،** فإنَّ المرء إذا كان يَطعم الحلال ويُطعم أبناءه الحلال فإنَّ هذا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ سبب الصلاح في البدن والعقل والفكر والدين، كما **بيَّن النبيَّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ رَجُلٌ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ**» **قال** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»، فلذلك من اكتسب الحرام ولم يعن به فأطعمه نفسه وأطعمه بنيه فإنَّ هذا سببٌ لعدم التوفيق وحصول البركة.

وقد جاء عن **النبيِّ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنَّه **قال**: «**كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**»، وهذا يدلُّنا على أنَّه ستنزع البركة بطريق أو بآخر في بدنه هو أو من أبنائه إذا لم يحتط في الكسب الحلال وإطعام الأبناء الإطعام الحلال الذي أباحه الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك جاء في الخبر في **قول الله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾ **[التغابن:٩]**، أنَّ من أشدِّ الناس غبنًا الرجل الذي يجمع المال من حله وحرمته ثمَّ يُورِّثه لأبنائه فعليه غُرمه ولهم ظلمه.

❁ **وأمَّا الأسباب الظاهرة التي تكون سببًا لحفظ الأبناء من شتَّى الشرور فهي متعدِّدة وكثيرة:**

❁ **فمن هذه الأمور التي بيَّنها أهل العلم أنَّهم قد بيَّنوا أنَّ مقاصد الشريعة أو الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها واتفقت الشرائع عليها منها: حفظ**

النســـل وهم الأبناء، فحفظ الأبناء ورعايتهم مقصـــودة، وهذا الحفظ لهم إمَّا أن يكون بجذبٍ وإمَّا أن يكون بدفعٍ **أي**: أن يكون إمَّا بطلب أو بترك، وقد بيَّن كثيرٌ من الناس كثيراً من الأمور التي تكون سببًا بأمر الله عَزَّوَجَلَّ في صلاح الأبناء من الأمور التي يفعلها الوالدان أو من يقوم مقامهما.

۞ **فمن هذه الأمور أن يعنى أولاً الأب باختيار الأرض المنبتة وهي: الأم،** فإنَّ أعظم ما يكون وأوَّل ما يكون من الأسـباب لحسـن تنشـئة الأبناء أن يختار لهم أمًا صـالحة، بأن تكون قد نشأت نشأةً صالحةً في مجتمعٍ صالحٍ، فإنَّ المرء ينشأ على ما علَّمه أبوه وأمه، إذ الصـبي الصـغير ذكرًا أو أنثى تكون علاقته بأمه أكثر من علاقته بأبيه بكثير، وهذا موجود في أغلب الآدميين بل حتَّى في كثيرٍ من الحيوانات علاقة الصـــغار أقوى، علاقتهم بأمهم أقوى من علاقتهم بأبيهم، ولذلك فإنَّ **النبيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت الحضانة للأم وقدَّمها على الأب **فقال**: «**أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ**» فالحضـانة للأم أولى؛ لأنَّ هذه فطرة موجودة في الفِطر ومجبولة عليها النفوس، فالمرء إذا اختار أمًا صـالحة، وأمًا حسـنة التربية فإنَّ هذا مؤثرٌ في صـلاح أبنائه بأمر الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **ومن الأسـباب الظاهرية التي يفعلها الوالدان وخصـوصًـا الأب وهو: الإنفاق على أبنائه،** فقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ الأب بالإنفاق على أبنائه من غير إســرافٍ ولا مخيلة ولا بخلٍ وتقتير، والأب إذا كان قد كفى أبنائه النفقة فإنَّ هذا مؤثرٌ في صـــلاح أبنائهم من جهات، من ذلك أنَّهم لا ينظرون إلى ما في أيدي الناس ولا يتطلعون إليها فتكون نفوســـهم أبية، ولا يستغلهم الناس بسبب ذلك.

ومنها كذلك: أنَّ المرء إذا أنفق على بنيه فإنَّ يده تكون عليا، ومن كانت يده عليا فقد جبل الله النفوس على طاعة المحسن، فيكون أبناءه سامعين له، مستجيبين لتعليمه وتوجيهه، وما يدلُّهم عليه.

إذن: فإنفاق الأب على أبنائه بما أمر الله عَزَّوَجَلَّ هو من أعظم الوسائل لقبولهم لكلامه واحترامهم له، وتوجيهم، واستجابتهم لتوجيهه، وليس المقصود بالإنفاق الإسراف والمخيلة فإنَّها منهيٌّ عنه، بل ربَّما كان ذلك سببًا في إفساد أبنائه.

❁ **ومن الأسباب الظاهرية التي يبذلها الوالدان**: **حسن التعامل بينهما**، فإنَّ الأب يجب عليه أن يحسن إلى الأم، وألَّا يسيء إليها أمام أبنائها؛ لأنَّه إذا أساء إليها أمام أبنائها اكتسب الأبناء احتقار الأم وكُره الأب، فيكرهون الأب لأنَّه يسيء إلى أمهم، ويحتقرون الأم من كثرة ما يسمعون من الإساءة، ومن وُجِد فيه هذان الوصفان فكيف يتعلَّم ويستجيب لأمر أبيه وأمه إذا كان حاقدًا على الأب، كارهًا له، ومحتقرًا للأم، ولذلك أُمر بالإحسان للأم أمام الأبناء، وألَّا يسيء إليها، وألَّا يعنف بأي صور التعنيف السيئة، كذلك الأم مأمورة بالإحسان للأب، وألَّا تسبه أمام أبنائه، فإنَّ استنقاص الأب أمام أبنائه يجعل شخصية هذا الأب وهيئته ضعيفةً عند أبنائه فلا يقبلون منه توجيهًا ولا تعليمًا ولا نصحًا، ولا يسعون في أن يبذلوا له شيئًا، ولذلك فإنَّ تعامل الأبوين مع بعضهما أمام الأبناء من أعظم الأمور التي ينتفع بها الأبناء في صلاحهم.

❁ **ومن هذه الأمور الواجبة أن يُعنى الأبوان**: **بتعليم أبنائهم التعليم النافع** كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:٦]**، **قال علي**

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بتعليمهم وتربيتهم» أو نحو ممَّا قال، فالتعليم به يعرف المرء الصواب من الخطأ، وبه ينتفي عنه الجهل، وبه يستدلُّ على معالي الأمور، ويترك سفاسفها، ولذلك فإنَّ العلم النافع لربَّما لم يحتجه في يومه هذا، ولكن سيأتي يوم يرجع فيه إلى ما علَّمه أبوه، هذا العلم أوَّله العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وبكتابه وبشرعه، ثمَّ العلم بمعالي الأمور من الأخلاق العالية والآداب السامية، وأعظمها هدي محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وممَّا يُعلَّم ما يتعلَّق بالتعامل مع الناس لكي لا يكون المرء يُخدع ويُستغفل، ولكي يعرف طرق الناس وتعاملهم، ويعرف الرجال، ويعرف كيف ينزل كلَّ شخص منزلته، ومن التعليم ما يتعلَّق بحِرف الدنيا، إمَّا حِرفا أو علمًا يكتسب به مالًا، وهذه علوم كثيرة ومتنوعة، وقد توزعت وتفرعت في وقتنا التفرع الكبير.

❁ **ومن الأمور المهمة التي يستجلب بها صلاح الأبناء:** **ما يتعلَّق بالجلوس معهم،** فإنَّ جلوس الأب والأم مع أبنائه، وسماعه لشكواهم والنظر في تفكيرهم هذه من أعظم الأمور التي يكون فيها صلاح أبنائه، وهذا الابن إذا رأى أباه بجانبه قريبًا منه ليس غائبًا عنه فإنَّه في هذه الحال يتأثر بسمته ودلِّه، ويتأثر أيضًا بفكره، ويتأثر كذلك بتوجيهه بخلاف من كان غائبًا؛ فإنَّ من كان غائبًا عن العين فإنَّه يغاب عن القلب فلا يوجد له أثر حين ذاك.

هذا ما يتعلَّق بالأمور المتعلقة بالجذب.

وأمَّا الأمور المتعلقة بالترك فإنَّها متعدِّدة منها:

❁ **أن يحرص الأبوان على إبعاد أبنائهم عن مواطن الريب، والأمور المستنكرة، والأشياء التي تكون فيها السوء،** فإنَّ الابن في صغره إذا اعتاد على البعد من هذه الأمور فإنَّه يستحي في كبره من اقترافها، وقد جاء عن **بعض السلف** أنَّه **قال:** «إنَّ من علامة نجابة

الصبي الحياء» فمن استحى من شيءٍ تركه كما **قال النبيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»، وبيَّن النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الحياء شعبةٌ من شُعَب الإيمان، فقضية أنَّ الحياء الذي لم يعتد عليه المرء في صغره من السلوك والآداب، هذا البعد عن هذه المواطن، مواطن الريب سببٌ بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ لاكتساب المرء الصفات الحسنة.

❁ **ومن الأمور التي يُعنى بها الوالدان فيما يتعلَّق بالإبعاد والترك هو: إبعاد الابن عن الصحبة السيئة**، فكم من امرئٍ كان سبب انحرافه وسوء فكره **هو**: صحبته السيئة سواءً كان الفكر غاليًا في بعض الأمور أو غاليًا في الجفاء عن الدين، إمَّا أقصى الغلو **وهو**: الإلحاد أو أقصى الغلو في المقابل بتكفير المسلمين والإساءة إليهم والحديث والوقيعة المحرَّمة فيهم. هذه الصحبة السيئة هي المؤثرة، ولذلك **قال الأوَّل**:

عَنِ المَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارَنِ يَقْتَدِي

فالمرء يقتدي بصديقه ويتعلَّم منه ويكتسب منه الصفات إمَّا الحسنة أو السيئة، فدور الوالدين إبعاد الأبناء عن هذه الصحبة السيئة إمَّا بإيجاد صحبةٍ صالحة كما **قال الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ [**الكهف**:٢٨]، أو بإشغاله عن كلِّ أمرٍ يتعلَّق بذلك.

ومن عجائب هذا الزمان الذي نحن فيه أنَّ الصحبة ليست بالأبدان وإنَّما هناك علاقات وصحبة افتراضية عن طريق هذه المواقع، مواقع الاتصال التي تجعل المرء يصادق ويحادث ويتكلَّم ويجلس مع الشخص ساعاتٍ طوال وهو لا يرى ذلك الشخص، ولذا فإنَّ الآباء يلزمهم أن يحرصوا على مراقبة أبنائهم وخاصةً في هذه الأمور الصداقات

الطبيعية والصداقات الافتراضية، فكم من امرئٍ إنَّما كان سبب غوايته وسبب انحرافه في فكره وفي بدنه عن طريق هذه المخدرات وغيرها بسبب هؤلاء الصحبة، وكم من امرئٍ كانت هدايته وصلاح أمره واكتسابه لمعالي الأمور والأخلاق بسبب الصحبة كذلك.

إذن: فليسع الآباء لإبعاد الأبناء عن ما يسوؤهم من الصحبة السيئة، وذلك بحسن المراقبة مع التغافل لا يكون شديدًا، لا يكون مُرًّا فيُلفظ ولا يكون حلوًا فيسترط، لا يكون قاسيًا فيُكسر ولا يكون ليِّنًا فيُلوى وإنَّما الوسط، يتغافل عن بعض الأمور ويوجه لغيرها، لا يتدخل في كلِّ صغيرةٍ ولا كبيرة وإنَّما يُوجِّه ويبعد السيء ويقرب الحسن، ولذلك كان فضل الوالدين على الابن عظيم ليس لمجرد الولادة فحسب، بل للولادة وللتَّربية ولما يكتسبه منهم إن كان تاريخهم حسنًا وذكراهم طيبة، وهذا الأمر أؤكد عليه مرَّة أخرى وهو: قضية الصحبة الصالحة والسيئة.

ومن عجائب هذا الزمان أيضًا أنَّ بعض الناس أصبح يأخذ أفكاره من الرؤوس الجُهال، وقد **بيَّن النبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَأْخُذُ النَّاسُ دِينَهُمْ وَيَسْتَفْتُونَ الرُّؤُوسَ الْجُهَّالَ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ**» وهؤلاء الجُهَّال جهَّال بالعلم ومجهولو حالٍ، كذلك وكم من امرئٍ إنَّما ارتوى وغوى بسبب أناسٍ مجاهيل لا يُعرفون عن طريق هذه الوسائل وسائل التواصل قالوا لهم كلمةً أو أخرى، أو اجتمعوا بهم في مواطن الريب في أماكن منزوية، فوجهوهم التوجيه السيء، ولذلك فإنَّ الوالدين يتأكَّد عليهم أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن يعلِّموا أبنائهم في مسائل الدين بأهل العلم فيدلُّوهم على أهل العلم الموثوقين المعروفين الذين يشهد لهم القاصي والداني بهذا العلم، وأن لا يقعوا في أهل العلم أمامهم

وألَّا يقبلوا النقيصة فيهم فإنَّ هذا سببٌ في تعظيم العلم وأهله عندهم.

۞ **من الأمور التي يُعنى الوالدان بتركها والابتعاد عنها وهي الأماكن السيئة**، وفي قصة ذاك الرجل الذي تاب فسأل الحبر العالم بالله عَزَّوَجَلَّ فأمره أن يترك الموضع الذي هو فيه لمَّا فارق المعصية، فالوالدان إذا رأوا أنَّ المكان من حيٍ أو بيتٍ أو مدرسةٍ أو غير ذلك من الأمور يكون فيها تأثير سيء على أبنائهم فإنَّهم يتركونها وينتقلوا لما يروا أنَّ فيه مكانًا صالحًا على الأبناء، وفي هذا أمرٌ مؤثرٌ ولا شكَّ أنَّ الأبوين لهما أثرٌ عظيمٌ على أبنائهم كما **قال النبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» فالأبوان إذا أساءا في التصرف تأثر أبناؤهم بذلك، ولم **يقل النبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أو يسلمانه» والسبب في ذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ جعل الناس جميعًا على الفطرة، وهذا الدين دين فطرة، فكلُّ ما يفعله الآباء مع أبنائهم من جهة عنايتهم بهم وتوجيههم يتوافق مع الفطرة تمام التوافق، ولذلك كلَّما كان المرء عارفًا بالله، حاملًا بشرع الله، ذاكرًا له سبحانه كلَّما كان عمله أقرب إلى الفطرة فتجده مرتاح النفس بهذا العمل الذي عمله مطمئنًا به لأنَّه موافقٌ لفطرته، فالأبوان أثرهم على الأبناء عظيم.

وأؤكد على ما ابتدأت به أنَّ حفظ الله عَزَّوَجَلَّ للأبناء من أسبابه حفظ المرء لنفسه، كما جاء عن **بعض السلف** أنَّه **قال**: «من اتقى الله فقد حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غني عنه» احفظ الله الحديث الصحيح أنَّ **النبيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ**» أو «**اتُجَاهَكَ**»، والله عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنَّه يرسل ملائكةً حفظة للمرء ولأبنائه **فقال** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ**

اللهِ﴾ [الرعد:١١]، فالله عَزَّوَجَلَّ يرسل ملائكةً يحفظون العبد في نفسه ويحفظونه في أولاده من الشرِّ إلَّا شيئًا قدره الله سبحانه، **قال مجاهد** في هذه الآية: «ما من عبدٍ إلَّا وله ملك يحفظه في نومه ويقظته» فإذا حفظ المرء العبد حفظه الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه، وحفظه الله عَزَّوَجَلَّ في أبنائه، وحفظه الله عَزَّوَجَلَّ في ماله وفي زوجه، والعكس بالعكس حتَّى **قال ابن منكدر**: «إنَّ الله يحفظ العبد المؤمن في ولده، وولد ولده، ويحفظه في دويرته، ودويرات حوله فما يزالون في حفظ الله عَزَّوَجَلَّ وعافيته ما كان بين ظهرانهم»، ولذلك المؤمن يحرص على الأسباب الباطنية بينه وبين الله يصدق مع الله بالدعاء، وبالعمل الصالح، وبطيب المكسب، ويحرص على الأسباب الظاهرية كذلك فإنَّه مأمورٌ بها في كتاب الله من الأسباب الكثيرة المتعدِّدة.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يرزقنا جميعًا العلم النافع، والعمل الصالح،

وأن يتولانا بهداه، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات،

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يصلح لنا في نياتنا وذرياتنا،

ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا،

ربِّي اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربَّنا وتقبَّل دعاء،

وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظ بلادنا من كلِّ سوءٍ وسائر بلاد المسلمين،

وأن يصلح أئمتنا وولاة أمورنا وأن يوفقهم لكلِّ خير،

وأن يحفظهم من كلِّ سوء، وأن يصلح لهم بطانتهم،

وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يحفظ بلادنا، وأن يردَّ كيد الكائدين عنها،

وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن أراد كيدًا بمكة والمدينة أو ببلادنا أو بالمسلمين عمومًا

سوءًا أسأله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل كيده في نحره،

وأن يجعل تدبيره تدميرًا له، وأن يجعله مدحورًا مذلولًا،

وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر ذنبنا، ويرحم ضعفنا، وأن يجبر كسرنا،

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله سيِّدنا ونبيِّنا محمَّد

وعلى آله الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين والله أعلم وأحكم.

